الحسينية ..
حى الفتوات والثورة والمغول !!

الحسينية . . واحد من أشهر الأحياء الشعبية فى القاهرة المحروسة ومن أقدمها . رغم أنه نشأ خارج القاهرة المعزية !! وهو حى له تاريخ ، ليس فقط فى العمارة . . ولكن فى السير الشعبية ، وفى الثورات والجدعنة ، ولاغرو أن عرفنا الحى بفتواته ، وهل منا من ينسى : فتوات الحسينية ؟!

ولقد اختلف المؤرخون على تاريخ بدايته ، كما اختلفوا على أصل تسميته ، ربما بسبب تعرضه لكثير من المحن والمتاعب . قال المقريزى فى خططه : « إن طائفة من عبيد الشراء تسمى بهذا الاسم سكنت هذه البقعة فسميت باسمهم » . . وقال فى موضع آخر : الحسينية منسوبة لجماعة من الأشراف الحسينيين « هل من آل الإمام الحسين » كانوا فى أيام الملك الكامل الأيوبى قدموا من الحجاز ، فنزلواخارج باب النصر بهذه الأمكنة واستوطنوها . وبنوا فيها مدابغ صنعوا بها « الأديم » المشبه بالطائفى ، فسميت الحسينية ، ثم سكنها الجند بعد ذلك وابتنوا بها الأبنية العظيمة . .

ويقول على باشا مبارك فى خططه ، وقد رجح القول الأول واستدل له بأن الطائفة الحسينية إنما قدموا فى أيام الملك الكامل بعد عام ٦٠٠ هـ ، والحسينية كانت موجودة قبل ذلك بنحو ٢٠٠ سنة .

●● وأول بناء فيها كان أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى ؛ فقد نقل المقريزى عن المسبحى فى حوادث عام ٣٩٥هـ ، أن الحاكم بأمر الله أمر أن تعمل شونة فيما يلى

الجبل وتملأ بالسنط والبوص والحلفاء . فابتدئ فى عملها فى ذى الحجة عام ٣٩٤هـ، وتم فى ربيع الأول عام ٣٩٥هـ ، فخامر قلوب الناس فى ذلك جزع ـ كما يقول ـ خصوصاً كل من كان يتعلق بخدمة الخليفة الفاطمى متقلب المزاج . وظنوا أن هذه إنما عملت لهم ، ثم قويت الإشاعات وتحدث الناس فى الطرقات بأنها محرقة تعد للكتاب وأصحاب الدواوين . .

فاجتمع سائر الكتاب « أو الموظفين » وخرجوا بأجمعهم فى اليوم الخامس من ربيع الأول ، ومعهم سائر المتصرفين فى الدواوين من المسلمين والنصارى إلى الرماحين بالقاهرة ، حتى وصلوا إلى القصر ، فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون ، وكتبوا رقعة يطلبون فيها العفو عنهم . ويسألون الخليفة أن لا يقبل منهم قول من يسعى بينه وبينهم ، وسلموا هذه الرقعة إلى قائد القواد الحسين بن جوهر ، فأوصلها إلى الحاكم بأمر الله ، فأجيبوا إلى ما سألوا ، وخرج إليهم قائد القواد فأمرهم بالانصراف والبكور فى الغد لقراءة سجل بالعفو عنهم . ونسأل هنا : هل يمكن أن تنسب الحسينية ـ بسبب دوره فى العفو عنهم ـ إلى قائد القواد هذا الحسين بن جوهر ؟!!

ونقل على باشا مبارك فى خططه عن ابن عبد الظاهر أن الحارات التى عن ميمنة الخارج من باب الفتوح وميسرته : الميمنة إلى الهليلجة ، وهى طائفة من عساكر الفاطميين ، والميسرة إلى بركة الأرمن ، وهى بركة جناق برسم الريحانية الغزاوية ، وهى طائفة أخرى من العساكر الفاطمية ، والمولدة والعجمان وهذه الحارات وتلك هى حى . . الحسينية . .

والحسينية تتكون من ثمانى حارات ، هى : حارة حامد . . حارة المنشية الصغيرة ، والكبيرة . . وبين الحارتين . . والحارة الكبيرة . . والحارة الوسطى . . والسوق الكبير . والوزيرية . .

ثم قال : إعلم أن الحسينية شقتان : إحداهما ما خرج من باب الفتوح وطولها من خارج باب الفتوح إلى الخندق أى إلى الدمرداش . وهذه الشقة هى التى كانت مساكن الجند أيام الخلفاء الفاطميين ، وبها كانت الحارات المذكورة .

والشقة الأخرى ما خرج من باب النصر ، وامتد فى الطول إلى الريدانية «العباسية» . وهذه الشقة لم يكن بها فى أيام الخلفاء الفاطميين سوى مصلى العيد تجاه باب النصر . وما بين المصلى إلى الريدانية فضاء لا بناء فيه ، وكانت القوافل إذا برزت تريد الحج . . تنزل هناك . .

●● وهناك رواية أخرى عن أصل الحسينية ، تقول إن تخطيطها بدأ مع بداية القرن الحادى عشر الميلادى ، عندما تم تخطيطها حارة كبيرة خارج باب الفتوح ، عرفت بالحارة الحُسينية نسبة إلى قائد القواد الحسين بن جوهر . .

وهناك رواية تقول إنه فى زمن الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى ، الذى تولى الحكم عام ١٢٩٤ ـ ١٢٩٥م الموافق عام ٦٩٤هـ ، قدمت إلى مصر طائفة الأويراتية عام ٦٩٥هـ ، وهم طائفة من المغول ، حضروا إلى مصر فراراً من ملكهم غازان . فأنزلهم السلطان كتبغا فى هذه المنطقة ، بعد أن تغلب التتار على ممالك الشرق والعراق وجفل الناس إلى مصر . . ونزل هؤلاء المغول مصر بهذه المنطقة وعمروا بها المساكن ، ونزل بها أيضاً أمراء الدولة ، فصارت من أعظم عمائر مصر والقاهرة .

واتخذ الأمراء بها من بحريها فيما بين الريدانية ـ وهى العباسية الآن ـ إلى الخندق وهى قرية سيدى الدمرداش مناخات الجمال وإصطبلات الخيل . ومن ورائها الأسواق ، وصار أهلها يوصفون بالحسن خصوصاً لما قدمت الأويراتية فازدادت العمارة بهذه الجهة ، وطائفة الأويراتية من جنس السلطان كتبغا نفسه .

وفى الحسينية ، بنى الأمير آل ملك الجوكندار جامعه وقصره وفندقاً وحماماً . كما أنه من بين ١٣٠ مسجداً عرفتها القاهرة فى زمن المماليك ، كان بالحسينية وحدها ١٢ مسجداً منها ، وكان يسكن فى الحسينية من جملة الأمراء ٣٠ أميراً تدق على أبوابهم الطبلخانات فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، لذلك أمر الناصر محمد بتشييد عدة قناطر على الخليج ؛ لربط الحسينية بكوم الريش وأرض الطبالة ، فى البر الغربى للنيل .

وهذه القناطر هى من الشمال إلى الجنوب : قنطرة بنى وائل بين التاج والبعل فى الجانب الغربى للخليج والقسم الشمالى من الحسينية . وقناطر الأوز بين البعل والحسينية ، والقنطرة الجديدة بين باب الفتوح وأرض الطبالة ، وتعتبر مرحلة حكم الظاهر بيبرس مرحلة مهمة فى مراحل نمو المنطقة .

ولما كان بعد عام ٤٥٠هـ ، وقدم أمير الجيوش بدر الجمالى لإعادة الأمن فى مصر ، زمن المستنصر بالله الفاطمى ، أنشأ بحرى مصلى العيد خارج باب النصر « تربة » عظيمة . وفيها قبره وقبر ولده الأفضل ، ثم تتابع الناس فى إنشاء الترب .. ومازالت هذه المنطقة موضعاً للمدافن ومقابر أهل الحسينية والقاهرة إلى ما بعد عام ٧٠٠هـ ، ثم لم تعمر هذه الشقة إلا فى الدولة التركية .

ثم بدأ تعمير المساكن بها ونزل بها أمراء الدولة فصارت من أعظم عمائر مصر والقاهرة ، واتخذ الأمراء بها من بحريها فيما بين الريدانية والخندق « العباسية والدمرداش» مناخات للجمال وإصطبلات الخيل ، ومن ورائها الأسواق والمساكن العظيمة .

● الحسينية وعصر الانحدار :

ومازال أمر حى الحسينية متماسكاً إلى أن كانت الحوادث والمحن عام ٨٠٦ هـ وما بعدها ؛ إذ خربت حاراتها ، ونقصت مبانيها ، وبيع مافيها من الأخشاب وغيرها ، وبار معظم أهلها ..

وفى عام ٨٢٠ هـ ، كما يقول على باشا مبارك ، بدأ بناحية برج الزيات فيما بين المطرية وسيرياقوس ، فساد « القرض » التى تأكل الكتب والثياب . وأكلت أخشاب الأسقف فى سقوف الحسينية وغلات أهلها وسائر أمتعتهم حتى أكلت الجدران ؛ فبادر أهل الحسينية إلى هدم ما بقى من الدور خوفاً حتى قاربوا باب الفتح وباب النصر ..

وفى عام ١٢٠٢ هـ ، تولى إسماعيل باشا كتخدا حسن باشا القبطان قائد الجيش

العثمانى فى مصر ، الذى جاء ليحارب مراد بك وإبراهيم بك بعد انفصال عابدين باشا عنها ، وكان اليد اليمنى لحسن باشا قبطان إلى عام ١٢٠٥ هـ ، عندما نزل سيل كبير من ناحية الجبل الأحمر . وامتد فى جهة الجمالية وجامع الحاكم إلى أمد بعيد فى الحارات المجاورة لذلك ، وخرب بسببه أكثر خط الحسينية وما جاورها . وعقب ذلك ظهر طاعون استمر ثلاثة أشهر، مات فيه إسماعيل بك شيخ البلد ، وأقام خلفه مملوك عثمان بك طبل ، ثم تبعه نقص فيضان النيل عام ١٢٠٧ هـ ، ولم يف النيل أذرعه فحصل القحط.

●● وفى ثورة القاهرة الثانية ضد الحملة الفرنسية ، كان لحى الحسينية دوره الكبير فى مقاومة جيش الاحتلال، وفى الانقضاض عليه . واشتهر فتوات الحسينية بمطاردة جنود الاحتلال ، وفى التصدى لغاراتهم على الأحياء ، وفى حماية الأهالى من بطشهم .

وبعد أن نجح الفرنسيون فى هزيمة الجيش التركى ، الذى جاء لطردهم من مصر، استداروا على الثوار فى بولاق فدمروها وأحرقوها ، ثم استداروا على ثوار الحسينية فنهبوا أغلب دور الحسينية وهدموها ، وكذلك قرية الدمرداش وضربوها بالمدافع لمدة ١٠ أيام.

واستمرت الثورة ٣٧ يوماً ضرب فيها الفرنسيون خط الأزبكية وخط الساكت إلى بيت محمد بك الألفى وخط الفوالة وخط الرويعى إلى حارة النصارى ، كما تم تخريب أغلب حارات بولاق وبركة الرطل وباب البحر .. ويضيف الجبرتى ضمن حوادث عام ١٨٠٠م أيام الجنرال مينو أن خططاً بأكملها تهدمت مثل خط الحسينية..

وكان فى خارج خط الحسينية عدة جوامع وزوايا ومدارس ، ومنها جامع آل ملك، وهو المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر أنشأه الأمير سيف الدين الحاج آل ملك ، وهو جامع تخرب ولم يبق له أثر ، ومنها جامع الظاهر بيبرس البندقدارى ، وأقيم فى ميدان كان يعرف باسم ميدان قراقوش ، وكان هذا الميدان يتنزه فيه الظاهر بيبرس ويلعب فيه الكرة .

وبدأ فى بناء مسجده هذا عام ٦٦٥ وثم عام ٦٦٧ هـ ، وهو الجامع الذى تحول إلى الفرن الذى عرف باسم فرن الظاهر خارج الحسينية فى طريق الريدانية ، ثم أصبح مذبحاً للقوات الإنجليزية بعد الاحتلال ..

والريدانية تنسب إلى ريدان الصقلى ، أحد خدام الخليفة الفاطمى العزيز بالله . ويقول المقريزى فى خططه إن هذه المنطقة كانت بستاناً لريدان الصقلى ، والريدانية هذه هى العباسية ..

ومن أخطاط الحسينية كنا نجد خط خان السبيل ، الذى بناه الأمير بهاء الدين قراقوش ، ورصده لأبناء السبيل و المسافرين بغير أجرة، وبه بئر ساقية وحوض للمارة ودوابهم ..

وكان فى خط الحسينية « عرصة » أى سوق تباع فيها الغلال ، وكان فيه سوق يباع فيه الخشب ، ويجتمع فيه الناس كل يوم جمعة ويباع فيه الأوز والدجاج .

وكانت فيه أيضاً عدة مساكن مابين دور وحوانيت ، وقد اختل هذا الخط وانتهى . وخط الحسينية كان بجوار المدبح القديم ، ومحله على يسار المار فى طريق العباسية ، من بداية الطريق عند باب الحسينية . ويقول على باشا مبارك فى خططه إنه كانت هناك أرض منخفضة تزرع خضراوات ، وظلت ساقية موجودة بالقرب منه ، وهو المدبح الذى أقيم أيام محمد على باشا .

وبالقرب من درب الجميزة وعلى بابه جامع شرف الدين الكردى . وكانت هناك منظرة جميلة تعرف بمنظرة باب الفتوح ، كانت معدة لجلوس الخليفة الحاكم بأمر الله عند استعراض الجنود ووداعها إذا سارت للحرب . وكانت هذه المنظرة فى بستان أنيق يعرف بالبعل ، أنشأه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وموضع هذا البستان يعرف اليوم باسم البعل .

ومحل منظرة البعل كان فى مقابل قنطرة الأوز . وقد خربت وبنى فى محلها بركة تعرف باسم بركة الشيخ قمر ، وحولها كيمان أى تلال أزيل بعضها ، وأرض البعل

بعضها باق « على زمن الخديو توفيق » ، وهو أرض البركة ، وما جاورها بين الخليج وبعضها زال وأصبح جزءًا من ترعة الإسماعيلية .

أما منظرة التاج فكانت قصراً من قصور الخلفاء ، وكان بحرى الخليج المصرى وبناه الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى . وقد أزيل هذا القصر وتحول إلى مزارع ضمن أراضى منية السيرج ، وكانت حوله عدة بساتين وأعظم ما كان حوله قبة الهواء تجاه قنطرة بنى وائل .

وكان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق ، ولايدخله إلا السلطان وأولاده ، وكان فيه من الأشجار ١٧٢٠٠ شجرة ، هى السور المحيط بالبساتين من جميز وسنط وأثل ، ويظهر من هذا أن البساتين الموجودة أمام بوابة الحسينية ، وتمتد إلى الدمرداش والمطرية ، وكذا الأرض التى ظلت تزرع بين هذه البساتين والخليج ، هى من حقوق هذه البساتين ، وصارت قطعاً امتلكها الناس وبنوا عليها البيوت .

ويصف على مبارك حى الحسينية فى أيامه « عام ١٢٩٩ هـ » بأنه ما كان خارجاً عن باب الفتوح ، واسمه باق كما هو لم يتغير . وهو خط كبير عامر يشتمل على شوارع ودروب وحارات بها الدور والوكائل والدكاكين الغاصة بالبضائع ، وبها كثير من الجوامع والزوايا .

ويقول على باشا مبارك : إعلم أن أطول شوارع القاهرة هو الشارع الكبير الطولى، الذى أوله من الجهة البحرية بوابة الحسينية خارج باب الفتوح . وآخره من الجهة القبلية بوابة السيدة نفيسة رضى الله عنها ، فيلزم أن نتكلم عليه أولاً ، فنقول إن طول هذا الشارع ٤٦١٤ متراً ، وهذا الشارع ينقسم إلى ٢٠ قسماً ، لكل قسم منها اسم يخصه .

● شوارع الحسينية من ١٠٠ عام :

يعتبر شارع الكردى ـ من ١٠٠ عام ـ أبرز شوارع الحسينية ، ويبدأ من باب

الحسينية وينتهى إلى مسجد البيومى . وعرف بهذا الاسم لأن مسجد الشيخ أبى شرف الدين الكردى ، الذى يقال إنه من أرباب التصريف فى أول هذا الشارع ، وكان أصل هذا المسجد ـ كما جاء فى الخطط التوفيقية ، الجزء الثانى ـ زاوية صغيرة أنشأها الأمير عبد الرحمن كتخدا مسجداً وجعل به خطبة ، وأنشأ فى مقابله سبيلاً ، وجعله وقفاً عليه وذلك عام ١٢٧٠هـ . وبقرب هذا المسجد زاوية صغيرة بها ضريح الشيخ على أبى خودة ، ذكره الشعرانى فى طبقاته . وبآخر هذا الشارع ضريح يعرف بضريح الشيخ أيوب ، وبه ٣ وكائل : واحدة لبيع الغنم ، والثانية لبيع الدريس ، والثالثة أيضاً لبيع الدريس ، وبه قراقول الحسينية .

ومن دروب هذا القسم (شارع الكردى) نجد درب مسعود ، ودرب حسين ، وعطفة عزوز ، ودرب الغنامة ، وعطفة الجزار ، وعطفة القزاز ، وعطفة سرور، وعطفة حميد ، وحارة الكردى ، وعطفة أبى العلا ، وحارة جميلة ، وحارة إسماعيل شرارة .

ثم شارع البيومى ، وأوله من مسجد البيومى ، وآخره عطفه البلاحة ، واشتهر هذا الشارع باسم سيدى على البيومى . وفيه مسجده الذى أنشأه الوزير مصطفى باشا ، وأنشأ به قبة بداخلها مدفن الشيخ على البيومى ، وأنشأ تجاه المسجد سبيلاً ومكتباً عام ١١٨٠ هـ .

وبهذا الشارع أيضاً جامع كمال الدين ، وهو على يمين الخارج من باب الفتوح إلى الحسينية . أنشأه الحاج كمال الدين التاجر فى أيام الظاهر برقوق ، ولما مات دفن به ، وبه أيضاً زاوية الأربعين ، وزاوية باشا السكرى ، وزاوية الخدام ، وهى خارج باب النصر ، فيما بين شقة باب الفتوح من الحسينية وبين شقة الحسينية . أنشأها الطواشى بلال الفراجى وجعلها وقفاً على الخدام الأحباش من الجند عام ٦٤٧هـ ، وهى باقية للآن ، وتعرف بزاوية التميمى .

وبهذا الشارع ٦ وكائل وحمام البشرى ، وهو خارج باب الفتوح بأول درب السماكين، وفى زمن السلطان الغورى بنى حمام فى الحسينية عرف باسم حمام الحبالين .

ثم شارع الخواص وأوله كما جاء فى الخطط التوفيقية من عطفة البلاحة وآخره عطفة ندى ، وأشهر حاراته حارة الخواص على يسار هذا الشارع ، وبها خوخة تعرف بخوخة النمرود . وبه ضريح سيدى على الخواص شيخ عبد الوهاب الشعرانى ، الذى ذكره فى طبقاته وأثنى عليه ونقل عنه الأحاديث ، والخواص نسبة إلى الخوص لأنه كان يضفر المقاطف الخوص .

ومن زوايا هذا الشارع زاوية شمعة التى أنشأها الأمير شمعة فى أول القرن ١٣ الهجرى .

ونصل إلى القسم الرابع من أقسام وشوارع حى الحسينية ، ونقصد شارع أبى قشة . وأوله من عطفة ندى وآخره باب الفتوح ، ويخرج منه شارع البنهاوى ، وبه زاويتان أولاهما ضريح الشيخ أبى قشة الذى يحمل الشارع اسمه ، وبه ٣ وكائل منها ما هو معد لسكن المسافرين ، ومنها ماهو معد لبيع الفحم .

ثم نصل إلى شارع باب الفتوح ، الذى يبدأ من باب الفتوح ، وينتهى بضريح سيدى دويدار تجاه شارع بين السيارج. وكان بجوار باب الفتوح سجن يعرف «بالمقشرة» ، كان موضعه بين الباب وبين جامع الحاكم ، وكان يقشر فيه القمح وكان من أشنع السجون . ثم جامع السطوحية ، الذى أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا ، وأنشأ بجواره صهريجاً يعلوه مكتب . وأنشأ حوضاً كبيراً لسقى الدواب بعد عام ١٢٦٠هـ ، وكان بهذا القسم أو الشارع ٥ وكائل منها وكالة الشربجى لبيع الحمص ، ووكالة الحسين وهى مقلاة للحمص ، ووكالة النيلة لربط الحمير، وبأعلاها مساكن ووكالة إبراهيم الأرناؤوطى ، ووكالة الثوم وجباسة بجوار باب الفتوح. ومن دروب هذا الشارع نجد درب المغاربة على يمين المار بشارع باب الفتوح ، وبه عطفتان هما عطفة البقرة وعطفة الوسعاية .

والشارع السادس فى الحسينية هو شارع الكليباتى ومرجوش . ويبدأ من ضريح سيدى دويدار تجاه شارع بين السيارج وينتهى بجامع السلحدار . واشتهر بهذا الاسم لأن به زاوية الشيخ الكليباتى فى أوله ، التى أنشئت عام ٩٢٧هـ ، وبه ثلاثة أسواق أولها سوق المرحلين ؛ حيث تباع رحلات الجمال وسائر ما تحتاج إليه عندما كان الجمل وسيلة النقل الأساسية . وبه المدرسة الصيرمية ، ومحلها زاوية سوق الضبيبة، حيث صناعه الضبة ، وهى القفل المصنوع من الخشب للأبواب .وسوق حارة برجوان . ويصل إلى قرب جامع الحاكم ، وهو من الأسواق القديمة ، وكان يعرف أيام الفاطميين بسوق أمير الجيوش ؛ حيث يباع لحم الضأن واللحم البقرى ومحلات الزياتين والجبانين والخبازين واللبانين والطباخين ، والشوايين والخضرية والعطارين ، وقد تخرب هذا السوق عام ٨٠٦هـ ، وتحول هذا السوق زمن الخديو عباس حلمى الثانى فى أواخر القرن ١٩م إلى سوق عامرة للمانيفاتورة والأقمشة. ومن أشهر عطفه ودروبه عطفة الفناجيلى ، ودرب الوراقة وسوق مرجوش الذى هو أمير الجيوش ، ولكن العامة حرفته إلى مرجوش .

ونستمر فى استعراض أقسام وشوارع الحسينية ، كما فصلها على باشا مبارك فى خططه التوفيقية ؛ أى منذ حوالى ١٠٠عام . . فيقول إن القسم السابع هو شارع الإمشاطية ، الذى يبدأ من رأس شارع مرجوش ، وينتهى إلى سبيل بين القصرين . وبه جهة اليمين شارع سوق السمك ، ومن جهة اليسار شارع السنانين وطوله ٨٤ متراً. ويتصل بشارع وكالة التفاح ، شارع السنانين ، سماه المقريزى بشارع المحايرين . وهذا السوق فيما بين الجامع الأقمر وبين جملون ابن صيرم من سوق حارة برجوان ومن سوق الشماعين . ثم بجوار شارع السنانين الجامع الأقمر ، الذى أمر بإنشائه الخليفة الآمر عام ٥١٩هـ ، وكان موضعه قديماً سوقاً للقماحين .

وكان بشارع الإمشاطية سوق الشماعين وسوق الدجاجين ، وكان الأول من الجامع الأقمر إلى سوق الدجاجين ، وكان يعرف فى الدولة الفاطمية بسوق القماحين . أما سوق الدجاجين فكان يمتد إلى سوق قبو الخرنفش .

أما القسم الثامن فهو شارع النحاسين ـ وكان يعرف وقتها من ١٠٠ عام ـ بخط بين القصرين ، وابتداؤه من سبيل عبد الرحمن كتخدا ، الذى أنشىء عام ١١٥٧هـ وانتهاؤه حارة الصالحية تجاه باب الصاغة . وبأوله من جهة اليمين حمام السلطان ، ويعرف أيضاً بحمام سيدنا الحسين ، ثم المدرسة الكاملية التى أنشأها الملك الكامل عام ٦٢٢هـ . وكان محلها سوق الرقيق ثم نقل سوق الرقيق إلى خان مسرور الصغير. ثم المدرسة البرقوقية و المدرسة الناصرية ثم المدرسة المنصورية داخل البيمارستان ؛ أى جامع قلاوون وجامع البيمارستان .

وعندما دخل بونابرت مصر ، وجد علماؤه فى هذا الجامع مسلتين مجعولتين أعتاباً ، فأخرجوهما وأرسلوهما إلى باريس مع أشياء أخرى . فقابل المركب فى الطريق مركب إنجليزى استولى على جميع ما كان فى المركب الفرنسى وللآن توجد المسلتان فى دار الآثار بمدينة لندن .

وبعد جامع قلاوون ، نجد حمام قلاوون ، ويعرف بحمام النحاسين ثم باب الصاغة تجاه حارة الصالحية . وفيه تكية درب قرمز ، وبجوارها ضريح الشيخ سنان ، والمدرسة السابقية وتعرف بجامع درب قرمز . ثم حارة بيت القاضى ثم وكالة خان اللونة لبيع الدهانات ، ثم سبيل النحاسين الذى أنشأه محمد على باشا وأنشأ فوقه مكتباً وجعله صدقة على روح ابنه إسماعيل باشا الذى مات محروقاً بالسودان .

ثم شارع بيت القاضى الذى فتح عام ١٢٩٠هـ ، وكان محل رأس هذا الشارع المدرسة الظاهرية التى أنشأها الملك الظاهر بيبرس عام ٦٦٢هـ ، فلما فتح هذا الشارع زالت هذه المدرسة . .

ونستمر فى خط بين القصرين ، فنجد القبة الصالحية ثم حارة الصالحية فى آخر الشارع . وكان هذا الشارع مخصصاً لبيع النحاس الجديد ، وينصب به سوق كل أسبوع مرتين لبيع النحاس القديم، وحدده المقريزى بأنه كان يقع بين المدرسة الظاهرية البيبرسية ، وبين باب قصر بشتاك .

● حى الحسينية عام ١٩١٢ :

تلك هى صورة حى الحسينية ، عندما وصفه على باشا مبارك فى خططه التوفيقية التى طبعت بين عامى ١٨٨٨ و١٨٨٩م . . فما صورة الحى نفسه بعد ربع قرن من هذا التاريخ ، وما الحالة التى اصبح عليها ، وهل تطورت شوارعه ودروبه ؟ . .

تحت يدى خريطة لمدينة القاهرة ، طبعت عام ١٩١٢ بمقياس رسم ١/١٠٠٠٠ ، تم طبعها بمصلحة المساحة ، أدق مطابع للخرائط والرسميات فى مصر.

فى شمال الحى ، نجد شارع سبيل الخازندار الذى يلتقى بشارع العباسية القادم من الجنوب ، ثم عند هذا الالتقاء نجد باب الحسينية ؛ حيث تقابله نقطة البوليس . وعن شمال الباب نجد شارع البيومى ، فشارع الحسينية الذى يصل الى باب الفتوح ، ويتوسط شارع البيومى جامع البيومى .

وفى الشرق والجنوب الشرقى ، نجد جبانة باب النصر للمسلمين ، وكان أول من دفن فيها أمير الجيوش بدر الجمالى منقذ مصر نفسه . والحد الجنوبى للجبانة هو باب النصر وسكة قايتباى التى تمتد غرباً باسم شارع القصاصين ، فشارع البغالة إلى أن يصل إلى شارع الخليج المصرى . ثم نجد شارع نجم الدين الذى يخترق الحى جنوباً . أما شرق جبانة النصر فهو أرض فضاء ، وليس هناك أى معلم إلا وابور المياه القديم غير المستعمل الذى كان يمد العباسية بالمياه . وجنوباً بشرق ليس هناك إلا مقام سيدى جلال وبرج الظفر حيث تل قطع المرأة . . ويقع شرق كل هذا أماكن أو محاجر استخراج الرمال . .

فإذا اتجهنا غرباً على يسار شارع البيومى ، ومن بدايته عند شارع العباسية، نجد شارع الأمير فاروق ، شارع الجيش الآن. وبين شارعى البيومى والأمير فاروق ، نجد شارع السبع والضبع ، الذى يخرج من شارع العباسية أمام كنيس الإسرائيليين فى الناحية الأخرى من شارع العباسية . وفى منتصف شارع الأمير فاروق بين شارع العباسية وميدان باب الشعرية ، نجد منطقة زرع النوى وفيها شارع الصوابى وجامع

الزهرية عند تقاطعه مع شارع البغالة. أما فى الشمال الغربى ، فنجد جامع الظاهر بيبرس .

وجنوب سكة قايتباى ؛ أى جنوب سور القاهرة ، نجد باب النصر وجنوبه جامع البقرى ، ووكالة قوصون قبل الوصول إلى شارع الضبابية- أى صناع الأقفال الخشبية «الضبة » - الذى يتقاطع مع شارع الجمالية وجامع بيبرس الجاشنكير إلى أن نصل إلى النحاسين ، فنجد الجمالية شرقاً، حيث بيت المال وإدارة الدمغة والمكاييل والموازين «هكذا كان اسمها » ، ثم نصل إلى جامع سيدنا الحسين .

وغرب هذا كله نجد النحاسين، ثم قسم شرطة الجمالية والمطافئ وبيت القاضى إلى أن نصل إلى خان الخليلى . وبين باب النصر وباب الفتوح غرباً ، هناك جامع الحاكم بأمر الله فشارع باب الفتوح ، الذى هو امتداد شارع النحاسين . .

● **الحسينية فى منتصف القرن العشرين :**

●● والآن ما صورة الحسينية بعد ٦٥ عاماً من طباعة الخطط التوفيقية؟!

أمامى الآن خريطة لمدينة القاهرة تمت طباعتها عام ١٩٥٢م ، وأيضاً طباعة مصلحة المساحة ، ومقياس رسم ١٥٠٠٠/ ١ ، نكتشف فيها تغيراً كبيراً بسبب تزايد الكثافة السكانية. وكان الزحف يزداد شرقاً حتى لا يمتد غرباً حيث المناطق الزراعية، وكان هذا هو الامتداد الطبيعى والسليم للقاهرة ، وليس إلى غرب النيل حيث الأراضى الزراعية الخصبة ، وكان هذا واضحاً فى حى الحسينية.

إذ تبدأ عمليات إعمار المنطقة جنوب شارع سبيل الخازندار ، ونجد المستشفى الفرنساوى . يمتد شارع السرجانى جنوباً فيعبر شارع سبيل الخازندار ، ونجد المنطقة على يمين ميدان الجيش ، وقد أقيمت فيها مدارس إسرائيلية . ونجد ديرًا ومدرسة. ولأن هذه المنطقة كانت أرضًا فضاءً ، نجد العمران يمتد إليها ، فتم بناء ملجأ هناك . وكذلك جراج لمصلحة النقل الميكانيكى ، وديرآخر . وتم شق شارع مصنع الطرابيش

بين ميدان الجيش ومصلحة التنظيم فى شرق الشارع . أما فى غرب الشارع فنجد مصنع الطرابيش نفسه ، بين شارع المصنع وشارع نجم الدين ، إلى أن نصل إلى جبانة باب النصر للمسلمين ؛ حيث يستجد شارع جديد جنوب الجبانة ، يحمل اسم شارع جلال ، ويبدأ من مقام سيدى جلال . ويتغير اسم امتداده من سكة قايتباى إلى شارع جلال ، وامتداده إلى الغرب شارع القصاصين فى المنطقة بين شرق باب النصر إلى باب الفتوح .

وفى شرق الجبانة ، يتم بناء قلم مرور القاهرة ، فنجد شارع قلم المرور بالقرب من برج الظفر. ولأن المنطقة صحراوية رملية ، فإنه تم إنشاء مصنع الزجاج النموذجى . والمصبغة النموذجية ، كما تم استحداث شارع جديد ، هو شارع المنصورية الذى يصل إلى الدراسة .

ويلتحم العمران فى شرق الحسينية التى كانت عبارة عن تلال رملية ومصدر للرمال المطلوبة فى أعمال البناء ، ويتم تخطيطها وتقسيمها من الشمال والجنوب ومن الشرق إلى الغرب ؛ حتى تلتحم المنطقة الجديدة بجبانة الخفير .

وفى شمال الحسينية نجد الوايلى والعباسية ، وبينهما بدايات كليات جامعة (إبراهيم باشا) عين شمس أى كليتى الحقوق والهندسة على شارع السرايات . أما شارع الحسينية نفسه ، فيبدأ من شارع البيومى من ميدان الجيش ، ويصبح على يمينه شارع نجم الدين ، وعلى يساره شارع الشيخ القويسنى وامتداده شارع السماكين ، إلى أن يصل إلى باب الفتوح ؛ أى يتجاوز شارع الحسينية وشارع السماكين إلى أن يصلا إلى باب الفتوح .

●● وأبرز المنشآت فى الحسينية فى خريطة ١٩٥٢م هى جامع الظاهر بيبرس . ومدرسة خليل أغا الثانوية فى الغرب ومصنع الطرابيش « الذى أصبح الآن مجرد ذكرى بعد إلغاء لبس الطربوش مع بداية ثورة يوليو ١٩٥٢م » كما نجد مشغل الكسوة الشريفة التى كانت تصنع فى مصر ، وترسلها كل عام لكسوة الكعبة المشرفة ، وكان

موقع دار الكسوة أو مشغل الكسوة الشريفة بين شارعى أمير الجيوش الجوانى شمالاً وشارع المعز لدين الله شرقاً ، وشارع الخرنفش جنوباً وشارع بين السورين غرباً . واللافت للنظر أن « مشغل الكسوة الشريفة » كان يجاور كلية القديس يوسف للإفرنج الكاثوليك . . وكنا نجد جنوبى المشغل كنيسة أخرى جنوبى شارع الخرنفش، أى قمة السماحة والتسامح ؛ فنحن شعب لا يعرف الاضطهاد الدينى . وكل هذا غير بعيد عن شارع الجيش ، بعد أن غيرت الثورة اسم الأمير فاروق إلى أن أصبح شارع الجيش ؛ أى كان مشغل الكسوة الشريفة للكعبة يقع بين الحسينية شمالاً والجمالية شرقاً والموسكى غرباً . . وبالطبع لا نهمل هنا السور الشرقى للقاهرة الفاطمية .

● **عالم الموالد .. والحمامات :**

وظل حى الحسينية مركزاً للتجارة حتى وقوع مصر تحت الحكم العثمانى . وكانت الأنشطة التجارية والحرفية بالذات تتركز فى شمال الحسينية ، وفى الحى الجنوبى قوصون « قيسون الآن » وابن طولون ومصر القديمة، وعلى الشاطىء الغربى للخليج المصرى، بينما ظل مركز بضائع الترف متمركزاً فى « القصبة » بين باب الفتوح وباب زويلة .

وكان فى الحى واحد من أشهر الحمامات العامة ، التى اشتهرت بها القاهرة . وحمام الحسينية لم يرد ذكره فى شرح خريطة وصف مصر ، التى وضعها علماء الحملة الفرنسية، ولكنه ورد مرات عديدة فى حجج المحكمة الشرعية ، خصوصاً دفترعام ١٦٨٦م ودفتر عام ١٦٩٢م ، وذكره « جومار » باسم حمام الحسينية، ولعله يقصد حمام البشرى الذى يرد برقم ٣ فى قائمة بوتى للحمامات . وحسبما يذكر على مبارك فى خططه ، فإن حمام البشرى هذا هو حمام الحبالين ، الذى ذكره ابن إياس فى بدائع الزهور ج٥ ، ص١٥ عام ١٥١٦م ، وتقول الخطط التوفيقية المطبوعة عام ١٨٨٨م إن هذا الحمام مازال قائماً فى رقم ٨ بشارع الحسينية .

●● وحى الحسينية مشهور بموالده المتعددة ، ففيه مولد سيدى على البيومى ، ويبدأ من ١٤ ذى القعدة حتى ٢٢ منه. وله حضرة فى كل يوم جمعة ، ومقرأة ليلة

الأربعاء . . وكذلك مولد سيدى على الخواص ابتداء من ٦ من شهر جمادى الأولى وحتى ١٦ منه وحضرته كل ليلة سبت . . ومولد سيدى محمد الصوابى من ١٤ شعبان إلى ٢٢ منه وحضرته كل يوم جمعة ، وتحضرها النساء المرضى . . ومولد سيدى الشيخ على البنهاوى بدرب عجور ، ابتداء من ١٦ شعبان إلى ٢٢ منه .

واشتهرالحى بأسواقه . . كانت فيه « رقعة » لبيع القمح ببركة الرطل من شارع الحسينية يباع فيها القمح والفول والشعير . وكانت فيه سوق للجمعة تباع فيها المواشى والأغنام والطيور والملبوسات وغيرها . وكان سوق مذبح الحسينية ينصب عصر كل يوم إلى الغروب ، ويباع فيه البقر والجاموس والغنم والجمال .

وفى عهد أسرة محمد على تم إبطال الذبح داخل القاهرة وبنى فى خارجها مذبحان أحدهما بجهة الحسينية ، والآخر قبلى البلد بقرب سور العيون ، وذلك عام ١٢٣٣هـ . وكان لكل منهما حوش كبير به سور من البناء وبعض سقائف تظلل قطعة من الأرض مبلطة بالحجر ، ولم يكن بها مجار لتصفية الدم وغيره ، ولامياه لغسل ذلك ، فكانت ـ كما يقول على مبارك ـ على غير قانون صحى ، وكانت عفونتها تنتشر فى الجو إلى مسافات بعيدة ، وتضر بالناس فكثرت الشكاوى وطلب مجلس الصحة إنشاء مذبح مسقوف مستوف لشروط الصحة ، كما الموجود فى المدن الكبرى فى العالم ، ولم ينفذ ذلك إلا أيام الخديو توفيق .

وعندما تم ذلك ، أبطلت المذابح القديمة وتخلص الناس من عفونتها ، وبنى المذبح الجديد بين العيون وزين العابدين . . وهو المذبح الذى ظل يخدم القاهرة حتى تم نقله فى العشر الأواخر من القرن العشرين إلى منطقة البساتين ، بعد أن زادت ـ أيضاً ـ شكوى الناس من عدم نظافته ، وتأثيره على الصحة العامة ، بعد أن زادت الكثافة السكانية حوله والذى عرف بسلخانة زينهم !! أو زين العابدين . وإذا كان المذبح قد تم نقله إلى البساتين ، إلا أن المدابغ مازالت كما هى تعتدى على سور العيون وتحتل مساحات كثيرة خلفه . .

واستقر حى الحسينية يحيط به من الشمال السكاكينى وغمرة . . ومن الغرب الظاهر وباب الشعرية وباب البحر . .

ومن الجنوب الجمالية وخان الخليلى . .

ومن الشمال الشرقى حى العباسية . .